

يوسف الخطيب

الحرب هي الحرب

ان الحرب هي الحرب ..

ليست الحرب دعابة ، ولا دعابة .. ولكنها بتعريفها القطاع الصارخ ، بحر من الدماء ، وافق من النيران .
ولعل من حسن الحظ اننا نختلف مع العدو اختلافا بينا فسي فهم كل منا لطبيعة الحرب هذه :

فلقد تعود الفزة الصهيونيون - خلال حروبهم التهريجية السابقة - ان يخوضوها فوق ساحات وثيرة من الزهور والحريز ، هياتها لهم مسبقا جبال المؤامرات الامبريالية الشريرة ، فسوق ما لدمتهم بعض ظروف الواقع العربي التي كانت سائدة بالامس ، والتي يبدو انها غدت بائنة اليوم .. وهكذا ، وعبر ربع القرن المنصرم من الزمن ، فلقد تكونت لدى الصهيونيين القناعة الساذجة التالية وهي : ان أية حرب اخرى سيخوضونها في المستقبل لن تكون الا مجرد نزهة سياحية ممتعة في مناطق اخرى من ربوع الوطن العربي . الا ان ما حدث ، يوم السبت الماضي ، قد كان بالنسبة للمقاتلين الصهيونيين أشد شبيها برحلة دانتي في فيعان الجحيم !! ولعل هذه المفاجأة العكسية على طول الخط ، ستفدو ، في الفد القريب ، مثالا تطبيقيا حيا لطلاب العلوم العسكرية في شتى انحاء العالم ..

لقد تصوروا ايضا ان بأيديهم سييسادة الجو المطلقة ، وان اعاجيب الفانتوم - خاصة في شارع السفارات بدمشق - ستجلب لهم الحظ ، وتدني منهم قطوف النصر .. الا ان ما حدث فعلا ، على ارض الواقع ، لا في سديم الخيال ، هو ان فرسان خيول الفانتوم قد أخذوا يهيجرون صهوات طائراتهم المشتعلة في الجو ، او حتى قبل ان تنفجر على الاطلاق .. هذا على حين سجل مراسل اجنبي ان اطفالنا العرب كانوا ما يزالون يلعبون كراتهم القديمة الصغيرة في شوارع دمشق ، وان طفلة صغيرة كانت تقضم كعكتها بطمانينة تحت السماء !!

لقد استفدوا ايضا ، الى الارض المحتلة ، عشرات الصحفيين من مختلف انحاء العالم ، بغية ان ينقلوا الى الرأي العام العالمي اساطير جديدة مسلية حول ما يوصف « بجيش الدفاع الاسرائيلي » - دون كيشوت القرن العشرين - وكيف سيختتم المعركة بضربة واحدة ذات اليمين ، وبضربة اخرى ذات الشمال !! الا ان ما حدث فعلا هو ان هؤلاء الصحفيين البؤساء قد حجر عليهم ما يشبه الحجر الصحي في كرنيتنا وزارة الاعلام الصهيونية بسبيل حنقهم بما ترفب الوزارة ان تحقنهم به من معلومات صيبانية ، او قد لا تجوز احيانا حتى على الصبيان .

هذه المرة فقط ، بدأ العدو الصهيوني يستيقظ على الحقيقة المجردة التالية : وهي ان الحرب هي الحرب .. وانها ليست دعابة ، وانها ليست دعابة ، وانما هي بحر من النيران ، وافق من النيران .. وان على الفزة المعتدين ان يسدوا بين ايدينا قائمة حساب شهدائنا الابرار .

البعث

11 تشرين الاول

تحرير النفس أولا ثم يأتي تحرير الارض

في اعتقادي ان الهزيمة الكبرى التي حلت بامتنا العربية فسي حرب حزيران الاسود ، لم تقع وطاتها على ساحة العمليات العسكرية ، قدر ما انعكست آثارها على النفس العربية بأسوأ الآثار .
لقد وقع يومئذ احتلال للارض .. ولقد كان احتلالا فادحا ، فاق في اتساع رفعتة ثلاثة اضعاف الشريحة الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ ، والمعروفة بقوة الامر الواقع ، « بإسرائيل » .
الا ان ذلك كله كان احتلالا فائما على السطح وحسب .. وهو لم يكن ذي بال مطلقا بالقياس الى ذلك الاحتلال الآخر الرهيب الذي أخذ ، على الفور ، يستهدف اعماق النفس العربية ، بضرب روحها المعنوية في الصميم ..

ان احتلال الارض ، في ذاته ، مسألة قديمة جدا قدم تاريخ النوع البشري .. بل لقد اغتصب اليهود انفسهم فلسطين نفسها قرابة اربعمئة سنة ، ما بين القرنين الحادي عشر والسابع قبل الميلاد . ولقد دونوا في اساطيرهم منذ ذلك الزمن السحيق انهم ذبحوا اهل « اريحا » عن بكرتهم ، باستثناء الزانية « راحاب » لانها اوت الى منزلها جواسيس « يشوع بن نون » . فمذبحة دير ياسين اذن ، او مذبحة فيبة ، او مذبحة كفر فاسم ، لا تنهض وحدها في الفراغ ، وانما تستمد نسفها الدموي من مذبحة اريحا قبل ثلاثة آلاف سنة ! وحتى امسنا القريب جدا ، والذي ما يزال حيا في الذاكرة بعد ، فان الجيوش الهتلرية قد اجتاحت ، كالجراد الجائع ، رقعة القارة الاوروبية كلها تقريبا ، من امواج المحيط الاطلسي حتى مداخسل موسكو فيما يشبه تنفيذ بيان عملي عسكري ، ان جاز لنا ان نستعير عبارة الفريق الشاذلي في مثل هذا السياق .

ان احتلال الارض اذن ، ليس هو المؤشر الحقيقي .. وانما نفع الهزيمة فعلا باحتلال الروح المعنوية للجماهير ، عن طريق ذلك الجيش الرهيب ، اللامرئي واللامحسوس في معظم الاحيان ، الا وهو جيش القنوط ، والياس ، وعدم الثقة بالنفس ، مقرونا في آن معا بالتهويل في قوة العدو ، وبالنتليل من شأن مقاومته ، ما دام هو الذي انتصر على ارض العمليات .

غير ان ما حدث ظهيرة يوم السبت الماضي ، قد صحح فيما لا يتجاوز ست ساعات خاطفة ، جميع الاوهام والقناعات الخاطئة التي ظلت تعشش في بعض الازهان طيلة ست سنوات !!

وهكذا .. ففي اعتقادي الجازم الآن اننا نخوض معركة تحرير حقيقي ووظافة .. معركة تحرير لا تقاس ، ويجب الا تقاس ، بعدد الكيلومترات من التراب العربي التي توغلناها في كل من الجولان وسيناء .. وانما تقاس ، ويجب ان تقاس ، بحقيقة التحرير الكامل الشامل للنفس العربية من ذلك الوهم العتيق الذي يطلق عليه « جيش الدفاع الاسرائيلي » .. فهذا هي صورة الفول الرهيب قبالتنا تماما .. ولقد تمزق عنها القناع دفعة واحدة والى الابد .. ولقد انطلقت النفس العربية ، حرة ، جريئة ، نقية كالشمس ، من ربة الوهم الخادع ، ومن جوف ظلام الياس ..

ومن تحرير النفس العربية اولا .. سيكون تحرير الارض .

12 تشرين الاول

البعث